بحوث قسم التاريخ والحضارة

السفارات والرسائل المتبادلة بين مملكة إشبيليه وقشتالة وليون (٤٢٦هـ/٤٧٨هـ – ١٠٣٥م/١٠٨٥م)

د. هاله خميس مراجع عويضة

دكتوراة من قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على السياسة التي اتبعها ملوك الطوائف مع بعضهم البعض ولجوءهم إلى النصارى الإسبان من أجل توسيع ممتلكاتهم وتحقيق المصالح الشخصية على حساب إخوانهم المسلمين واتخاذ مملكة إشبيليه نموذجاً لهذه السياسة من خلال السفارات والرسائل المتبادلة بينها وبين مملكة قشتالة وليون منذ أن اصبح فرناندوسيداً لإسبانيا وزعيماً للنصارى الإسبان ثم عهد ابنه ألفونسوالسادس.

Abstract

The study aims to shed light on the policy followed by the kings of the sects with each other and their resort to the Spanish Christians in order to expand their possessions and achieve personal interests at the expense of their Muslim brothers and take the Kingdom of Seville as a model for this policy through embassies and messages exchanged between them and the Kingdom of Castile Leon since Fernando became a master of Spain and a leader of the Spanish Christians, and then the reign of his son Alfonso VI.

مقدمة

بعد تدهور الأوضاع السياسية للدولة الأموية في الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري اتقسمت إلى دويلات صغيرة يسيطر على كل منها حاكم مستقل، ودخلت بذلك بلاد الأندلس في عصر جديد سمي باسم عصر ملوك الطوائف ولم يكن يربط بين حكام هذه الدويلات رابط المودة، وإنما كانوا في صراع مستمر يقاتل بعضهم بعضاً وينتزع القوي منهم ما يملكه الضعيف، وزاد الأمر بإستنجادهم بالنصارى ومحالفتهم ضد إخوانهم المسلمين ومن بين من اتبع هذه السياسة إمارة إشبيليه التي يتناولها البحث وكيف استطاع بنوعباد الإستيلاء على العديد من الأراضي في غرب الأندلس حتى اتسعت مملكة إشبيليه وغدت أعظم قوة في جنوب الأندلس خاصة في عهد المعتضد بن عباد الذي كان حكمه بمثابة فترة صراع عسكري وتطاحن مستمر مع جيرانه واستطاع من خلال ذلك أن يوسع ملكه ويقضي على الزعامات التي كانت تسعى للنيل منه في شكل تحالفات مع الممالك الأخرى، وعلى الرغم من سطوة بني عباد السياسية وبراعتهم العسكرية ونجاحهم في قتال الخصوم وتحطيم عروشهم إلا أنهم كانوا ضعفاء أمام خصومهم من النصارى وتنقسم هذه الدراسة إلى مجموعة من العناصر الرئيسية وهي:

المبحث الأول: مفهوم السفارة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: حصانة السفير في الإسلام.

المبحث الثالث: ديوان الرسائل في عصر ملوك الطوائف.

المبحث الرابع: نبذة مختصرة عن بني عباد في إشبيليه.

المبحث الخامس: السفارات والرسائل المتبادلة بين إشبيليه ومملكة قشتالة وليون في عهد فرناندوالأول.

المبحث السادس: السفارات والرسائل المتبادلة بين إشبيليه ومملكة قشتالة وليون في عهد ألفونسوالسادس.

المبحث الأول: مفهوم السفارة لغة واصطلاحاً

السفارة مصدر من الفعل سفر والسفير: الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء، يقال سفرت بين القوم أي سعيت بينهم في الإصلاح(١).

والسفير هوذلك الشخص المرسل رسمياً من دولة إلى دولة أخرى أوجماعة معينة غير خاضعة لسيادة دولته، ليكون نائباً عنها أووكيلاً لها. وقد تكون مهمته قاصرة على نقل رسالة شخصية أوخطاب شفهي أومذكرة إلى رئيس تلك الدولة أوأحد أصحاب السلطة فيها ويخضع لسلطانه سائر أفراد البعثة الدبلوماسية والموظفون في السفارة(٢).

المبحث الثاني: حصانة السفير في الإسلام

يتمتع الممثلون الدبلوماسيون في الدولة الإسلامية ببعض الحصانة والامتيازات، وهى شبيهة بما أقره القانون الدولي المعاصر، وذلك احتراماً لاستقلال الدولة التي يمثلونها(٣).

أهم ما يتعلق بالحصانة الدبلوماسية هوإعطاء الأمان للمبعوثين فالرسول أوالسفير إذا وصل بلاد المسلمين فهوفي أمان المسلمين وعلى الدولة أن تقوم بحمايته من الإعتداء، وتدفع عنه الأذى(٤)، كما عَدَّتْ الدولة الإسلامية استقبال السفراء بمثابة موافقة على اعتماده لديها في المهمة المعينة له، ونادراً ما ترفض الدولة قدوم أحد السفراء، بل لا يكون ذلك إلا في حالة غير طبيعية كحالة الحرب بين الدولتين(٥).

وقد بالغت الدولة الإسلامية في الاحتفال بالرسل والسفراء عند استقبالهم وعند توديعهم بكثير من الحفاوة والتكريم، فكانت تقام لهم الزينات السخية والمراسم الرائعة(٦)، وينزلونهم في مساكن تليق بهم، ويتولون الإنفاق عليهم من مأكل ومشرب، كما كان يخصص للسفراء الأدلاء للسير معهم(٧).

حرص الحكام والأمراء على تزويد السفراء بوثائق عرفت باسم التذاكر وتشبه في الوقت الحالي نظام أوراق الإعتماد يحررها ديوان الرسائل(٨)،وفيها التعريف بالسفير والهدف من سفارته ويطلب من أُولى الأمر في الدولة الموفد إليها اعتماده في أقواله.

وكانت هذه الوثائق تكتب باللغة العربية بأسلوب بليغ وخط جميل يليقان بمقام المراسلة ومهام السفراء، وأحياناً يحمل السفير ترجمة بلغة البلد المرسل إليه(٩).

المبحث الثالث: ديوان الرسائل في عصر ملوك الطوائف

كان ديوان الرسائل في الدولة الإسلامية يقوم بالمراسلة بين الخليفة والقادة الفاتحين والولاة وأهل البلاد المجاورة(١٠).

وقد عرفت الدولة الإسلامية أهمية هذا الديوان وأطلقت عليه اسم ديوان الإنشاء، ويعد أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن الرسول ﷺ كان يراسل الأمراء، ويكاتب أصحابه ويكاتبونه، وكتب إلى الكثيرين يدعوهم إلى الإسلام وبعث إليهم رسله بكتبه، فبعث عمروبن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس وهكذا أرسل إلى المقوقس وملك الروم وغيرهم(١١)، وكان كاتب الرسائل في العصر الأموى والعباسي يقوم بالتمهيد لإختيار السفراء وإعداد الكتب التي يحملونها(١٢).

عرف رئيس ديوان الرسائل بالكاتب وهومن يتولى كتابة الرسائل التي يبعث بها الخليفة إلى العمال والملوك، ويتلقى الرسائل التي ترد إلى الخليفة(١٣).

اتخذ ولاة الأندلس كُتاباً منذ بداية القرن الثاني الهجري يكتبون لهم رسائل للعمال والولاة، ويهددون الخارجين عن حكمهم، وإن لم يطلق عليهم اسم كُتاب ديوان الرسائل إلا أنهم كانوا يقومون بشيء من متعلقاته(١٤).

أما في القرن الخامس الهجري فإن ملوك الطوائف كانوا يحرصون على أن تضم بلاطاتهم أمهر الكتاب لأنهم يمثلون لسان الدولة(١٥)، وقد كان الملوك كما ذكر ابن المقفع " أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك "(١٦).

ومن المعروف أن القرن الخامس الهجري يعد من أكثر عصور التاريخ الأندلسي اضطرابًا نتيجة كثرة المشاحنات والمنافسات بين ملوك الطوائف الذين اهتموا بتوسيع ملكهم على حساب جيرانهم، فقامت بينهم الحروب واشتعلت الفتن، إضافة إلى الخطر الصليبي الذي كان

يهدد الوجود الإسلامي في الأندلس؛ لذلك فقد تفاعل الكتاب الأندلسيون مع تلك الأحداث السياسية حيث كان عددٌ منهم وزراء لملوك الطوائف، ونستطيع أن نلمس الاتجاه السياسي في حديثهم عن الخصومات ودعوتهم إلى توحيد الصف وحديثهم عن التيارات السياسية في الأندلس آنذاك(١٧).

كانت هناك آدابٌ لاختيار كاتب الرسائل، ومن أهمها حسن الفهم والذكاء(١٨)، كما أكد القلقشندي على ضرورة أن يمتلك الكاتب صفة البلاغة فقال في ذلك:

" رُبَّ كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتائب، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب، وإذا كان جيد الفطنة، صائب الرأي، حسن الألفاظ، تتأنى له الألفاظ الجزلة فيجلوها في الألفاظ السهلة، ويختصر حيث يكون الاختصار ويطيل حيث لا يجد عن الإطالة بدًا....(١٩).

وقد لمع في عصر ملوك الطوائف عددٌ من الكتاب، وازدادت بهم بلاطات أولئك الملوك الذين حرصوا على إعلاء شأنهم وسلطانهم.

المبحث الرابع: نبذة مختصرة عن بني عباد في إشبيلية

تنحدر أسرة بني عباد من نسب عربي أصيل، فقد دخلت الأندلس قادمة من الشام ضمن طالعة بلج بن بشر القشيري(٢٠) فمؤسس دولتهم وهوالقاضي أبوالقاسم محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد ابن عمروبن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم، وكان الجد عطاف وهوالداخل منهم مع أهل حمص من عرب الشام، وهولخمي النسب صريحاً، لما دخل الأندلس نزل بقرية يومين قرب إقليم طشانة على ضفة النهر الأعظم من أرض إشبيلية(٢١).واستقر بها حيث " تناسل ولده بها،مدة من الزمان ثم انتقل بعضهم منها إلى مدينة حمص وهى إشبيلية.....وتصدوا لخدمة الملوك من بني أمية فصرفوهم في الأمور العلية، فكثرت فيهم الوجاهة"(٢٢).

ويرجع الفضل الأعظم في ضبط إشبيلية في أعقاب الفتنة البربرية إلى القاضي أبي الوليد إسماعيل بن عباد الذي ذكره ابن حيان بقوله "كان رجل غرب الأندلس في وقته وكان

حسن المعرفة، يقطع عن المعلم جليله، صالح النظر في الفقه،عالماً كاتباً حليماً أديباً، حسيباً، كثير التوجيه للمرافق، وافر النعمة...."[٢٣].

وقد تمكن بحكمته وحسن تصرفه من إقصاء إشبيلية عن الفتنة البربرية والاستئثار بحكم المدينة[٢٤]، وعندما أحس بعجزه عن تحمل أعباء القضاء بإشبيلية بسبب ضعف بصره ندب أبنه أبا القاسم محمد؛ لتولى هذا المنصب، واقتصر هوعلى شياخة المدينة وتدبير الرأي، فحمى إشبيلية من سطوة البربر النازلين حولها بصحيح تدبيره ورجاحة رأيه وبعد نظره إلى أن توفى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م[٢٥].

وخلفه ابنه ذوالوزارتين أبوالقاسم محمد بن عباد في حكم المدينة[٢٦]، فساسها وانقادت له[٢٧]، وبعد أن غدا قاضيها وحاكمها السياسي معاً،معتمداً في ذلك على تأييد زعماء البيوتات العربية ومعاونتهم، وعلى تأييد أهل المدينة والتفافهم من حوله وكان يعمل في هدوء على التخلص من سائر منافسيه من بني الزبيري وبنى يريم وبنى العربي،كما أغلق أبواب إشبيلية في وجه القاسم بن حمود الحسيني عندما فَرَّ من قرطبة ولاذ بإشبيلية، وضبط الناس على كثرة شيوخ المدينة إلى أن انفرد بالأمر دونهم وسما بنفسه فأسقط جماعتهم، ثم عمد إلى اقتناء العبيد وحشد الرجال وإقتناء السلاح.

فساوى بذلك ملوك الطوائف وفاقهم بكثافة سلطانه وكثرة غلمانه، وتمكن تدريجياً من السيطرة على إشبيلية، واستقل ببلده، وأصبحت له مكانة مرموقة بين ملوك الطوائف[٢٨].وإسباغًا لشرعيته فى حكم إشبيلية دعا لرجل يقال له خلف الحصري زعم أنه هشام المؤيد لشبهه به، وأنه فَرَّ من الفتنة، وكتم امره، وكان يتقوت من العمل بالحلفاء، وأدخله القصر، وأخذ له البيعة الخاصة والعامة، وكتب إلى سائر ملوك الطوائف يرغبهم في بذل الطاعة لهذا الرجل والدخول في دعوته، وتوفى أبوالقاسم محمد بن إسماعيل بن عباد في ٢٩ جمادى الأولى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م[٢٩].

خلف محمد بن إسماعيل أبنه عباد الملقب بالمعتضد و"كان شهماً، مهيباً، شجاعاً،صارماً...." [٣٠]، واستطاع المعتضد بقوته وتفوقه العسكرى أن يسيطر على إمارات غربي الأندلس الصغيرة، فانتزع لبلة[٣١] من ابن اليحصبي، وقضى على دولته سنة

٤٤٥هـ/١٠٥٣م[٣٢]، كما انتزع جزيرة شلطيش وولبة من بني البكري، وقضى على دولتهم سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م[٣٣]، وفي السنة نفسها انتزع شنتمرية الغرب من بني هارون وقضى على دولتهم[٣٤]، وأخرج القاسم بن حمود من الجزيرة الخضراء[٣٥]. وهكذا اتسعت مملكة إشبيلية على حساب الطوائف المغلوبة على أمرها.

ولما فرغ المعتضد من إمارات الغرب اتجه إلى الإمارات البربرية في الجنوب واستطاع بذكائه أن يسيطر على تلك الإمارات ويضمها لأملاكه حيث دَبَّرَ لمن فيها حيلة لقتلهم جميعاً، وبذلك امتلكت إشبيلية فى عهد المعتضد مساحة شاسعة تشمل المثلث الجنوبي من الأندلس[٣٦].

توفى المعتضد بن عباد في جمادى الآخرة سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، وآل حكم مملكة إشبيلية إلى ابنه أبي القاسم محمد بن عباد، الملقب بالمعتمد على الله وكان عمره عند توليه الحكم ثلاثة وثلاثين عاماً وكان أسلم وأقل بطشاً من أبيه[٣٧]، وكان أول عمل قام به المعتمد بن عباد هوتدخله وبصورة مباشرة في شؤون قرطبة بعد سماعه بتحركات المأمون بن ذي النون ملك طليطلة؛ للإستيلاء عليها وقد تمكن المعتمد من ضم قرطبة إلى مملكته سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م بعد أن دارت بينه وبين المأمون مساجلات ونزاعات [٣٨].

لم يقنع المعتمد بما تحت يديه حيث طمع في ضم غرناطة ومن هنا اصطدم بعبدالله بن بلقين حاكمها ودارت بينهما حروباً استنصر فيها المعتمد بن عباد بالنصارى مقابل دفع جزية باهظة[٣٩]، كما وقع المعتمد بن عباد أيضاً في خصومات مع بني ذى النون أصحاب طليطلة انتهت بسقوط طليطلة في يد ملك النصارى ألفونسوالسادس، ليدفع المعتمد بن عباد ثمن خيانته واستهتاره وتعاونه مع النصارى ضد إخوانه المسلمين [٤٠].

المبحث الخامس:السفارات المتبادلة بين مملكة قشالة وليون وإمارة إشبيلية في عهد فرناندوالأول

لم تسلم مملكة إشبيلية من هجمات فرناندوالأول[٤١] فلما تمكن من أخضاع بطليوس وسرقسطة وطليطلة، وأجبرهم على دفع الجزية توجه إلى بني عباد حكام إشبيلية عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م على رأس جيش كبير، فهدم قرى مملكة إشبيلية، ونشر الموت والرعب بين

سكانها لذلك اضطر المعتضد أن يتوجه بنفسه على رأس سفارة إلى معسكر الملك النصراني حاملاً الهدايا الثمينة ودفع الجزية وذلك بعد استشارة الفقهاء بمملكته(٤٢).

لما رأى فرناندورأس المعتضد وقد اشتعل شيباً رغم أنه لم يتعد السابعة والأربعين من العمر فبدا أمام فرناندوشيخاً أبيض الشعر متغضن الجبين قد علاه وقار الشيخوخة وجلله الشعر الأبيض مهابه مما أثر في نفس فرناندووجعله يستجيب لرجائه حيث اشفق عليه من تكدير خاطره بانتزاع شئ من أراضيه إلا أنه طلب منه تسليم رفات القديسة جوست العذراء التي استشهدت في عهد الإضطهاد الروماني فوافق المعتضد على ذلك (٤٣).

رجع فرناندوإلى بلاده وأرسل إلى إشبيلية سفارة على رأسها ألفينوس أسقف العاصمة وآردوأسقف أشتورقة؛ لتسلم الجزية ورفات القديسة (٤٤).

فشل الأسقف ألفينوس في العثور على رفات القديسة جوست فقال لرفاقه:

" والآن أيها الإخوان، ها أنتم ذا ترون أننا سنعود فاشلين في تحقيق ما لنا من هذه السفرة الشاقة إذا لم تسعفنا العناية الإلهية بما جئنا من أجله، ويبدولي أنه ينبغي علينا أن نتقرب إلى الرب فنعكف على الصلاة والصوم ثلاثة أيام سوياً، سائلين إياه أن يتفضل فيهدينا إلى الكنز المخبوء الذي نفتش عنه"(٤٥).

وبذلك قامت السفارة المسيحية بالصوم والصلاة ثلاثة أيام ولما كان صباح اليوم الرابع جمع الأسقف ألفينوس رفاقه مرة أخرى قائلاً لهم:

" أيها الصحاب الكرام، ينبغى أن نتوجه إلى الرب بنية خالصة وقلوب عامرة بالإيمان؛ إذ تعطف علينا برحمته فلم يشأ أن تفشل رحلتنا فنعود صفر الأيدي، حقيقة أن الرب حال بيننا وبين أن نأخذ من هنا جثمان جوست الطوبانية ولكنكم ستعودون إلى وطنكم بعطية لا تقل عنها تلك هى جثمان أزيدور الطوباني...."(٤٦).

وبذلك قرر ألفينوس نقل رفات القديس أزيدور عوضاً عن القديسة جوست، ولما خشى المعتضد من تزايد أطماع المسيحيين في بلاده أوهم المسيحيين بضخامة ما يطلبونه حتى تكون هذه آخر مطالبهم فقال للأسقف:

"إنى آسف حد الأسف فانى إن أعطيتك رفات أزيدور فماذا يبقى لي بعد ذلك ؟ على أننى أيها الشيخ الوقور لا أمتنع عن تنفيذ رغباتك وليكن ما أردت، قم فنقب وابحث عن القبر وانقل رفات الراقد فيه على الرغم مما يساورني بعد ذلك من أجله(٤٧).

تمكن الباحثون من العثور على قبر القديس أزيدور، وحمل الجثمان على مركبة، ووضع عليه المعتضد قطعة من الديباج المحلي بالنقوش والكتابات العربية، وقال وهوينظر إلى الجثمان متحسراً:

" ها أنت تبرح المدينة يا أزيدور وأنت تدري ما بين بلدينا من أوثق روابط المودة والعلائق"(٤٨).

المبحث السادس: السفارات والرسائل المتبادلة بين مملكة قشتالة وليون في عهد ألفونسوالسادس ومملكة إشبيلية.

أولاً: – ألفونسووالمعتضد بن عباد

تناولت المصادر الإسبانية استقبال المعتضد قبيل وفاته غرسيه ملك جليقية الذي هرب من طغيان أخيه سانشوملك قشتالة في أثناء الحرب الأهلية التي إندلعت بين أبناء فرناندوعقب وفاته ٤٥٧هـ/١٠٦٥م (٤٩).

لذلك يرجح أن هذا الأمر كان من الأسباب التي أدت إلى موت المعتضد مسموماً عام ٤٦٥هـ/١٠٧٣م من ثياب مسمومة أرسلها إليه أحد أبناء فرناندوالذين يتمنوا إيذائه. وقد أشار المراكشي إلى هذا الملك الذي دبر لإغتيال المعتضد إلا أنه لم يذكر اسمه واكتفى بقوله ملك الروم (٥٠).

ومن المرجح أن هذا الملك هوألفونسوالسادس الذي أراد التخلص من المعتضد حتى لا يساند أخاه غرسيه.

ثانياً: – ألفونسووالمعتمد

١- سفارة أبي بكر بن عمار إلى ألفونسوالسادس ٤٦٧هـ/١٠٧٤م.

خلف المعتضد بن عباد على حكم إشبيلية ولده المعتمد سنة ٤٦١هـ/١٠٨٦م [٥١] وما إنْ تولى الحكم بإشبيلية حتى سار على نهج والده في محاربة البربر والقضاء على سلطانهم ولم يكن قد بقى منهم آنذاك بجنوب الأندلس سوى بني زيري أصحاب غرناطة[٥٢].

وقد استعد المعتمد لتوسيع رقعة دولته على حساب مملكة غرناطة التي تجاوره من الجنوب الشرقي، حيث رأى هوووزيره ابن عمار[٥٣] أن مملكة غرناطة قد وصلت إلى غاية من الضعف والخور، فجندا نفسيهما للإجهاز عليها حيث فكر المعتمد ووزيره ابن عمار في مهاجمة مدينة جيان ذات الأهمية العسكرية التي تقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة، ومن ثم العمل على الإستيلاء عليها. وبالفعل تمكن المعتمد من ضم هذه المدينة إلى مملكته وانتزاعها من صاحبها عبد الله بن بلقين سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، ثم فكر المعتمد بعد ذلك في مهاجمة غرناطة نفسها وأقام حصناً بالقرب منها، حتى تمكن من إحكام الخناق عليها، بيد أن محاولته باءت بالفشل بسبب تدخل الوزير سماجة الصنهاجي الذي بذل جهداً شديداً في مقاومة المغيرين مما جعلهم يقومون برفع الحصار عنها [٥٤].

وبالرغم من فشل المعتمد بن عباد في السيطرة على غرناطة فقد ظل يتحين الفرصة التي تمكنه من تحقيق هدفه، وفي تلك الأثناء قام ألفونسوالسادس ملك قشتالة بإرسال رسوله باطر شولش سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م إلى صاحب غرناطة يطالبه بدفع إتاوة قدرها عشرون ألف دينار إلا أن الأمير عبد الله الزيري رفض أن يدفعها[٥٥]، معتقداً أن ألفونسوالسادس لا يمكن أن يتعرض لدولته ما دام بنوذي النون يعترضون طريقه إليه، كما أن ملوك الطوائف لا يجرؤون على معاهدة ألفونسوضد مسلم[٥٦].

كان اعتقاد عبد الله الزيري خاطئاً؛ حيث انتهز المعتمد هذه الفرصة وقام بإرسال وزيره ابن عمار إلى السفير المسيحي(٥٧) حيث كان ابن عباد يعتمد عليه في سفاراته المهمة لملوك النصارى فقد كان ابن عمار قائداً محنكاً يقود الحملات العسكرية الناجحة، وسياسياً بارعاً، ومفوضاً لا نظير له ، وذاع صيته في كل أرجاء الأندلس، وأيضاً في ممالك إسبانيا النصرانية حتى كان ألفونسوالسادس ملك قشتالة، إن ذكر عنده ابن عمار، قال "هورجل الجزيرة"(٥٨).

عرض ابن عمار على السفير المسيحي خمسين ألف دينار مقابل مساندته للمعتمد بن عباد في افتتاح غرناطة حيث قال له:

" إن كنتم منعتم عشرين ألف دينار، فنحن نعطيكم خمسين ألفاً، على أن نعاقدكم على غرناطة تعطونا القاعدة، ولكم ما فيها من الأموال "(٥٩).

لم يستطع هذا السفير أن يرفض هذا العرض خاصة أن جميع كنوز قصور بني زيري ونفائسهم ستكون غنيمة باردة للنصارى مقابل امتلاك ابن عباد غرناطة ذاتها، فوافق ألفونسوالسادس وأمد المعتمد بسرية من جنده وقاموا بإنشاء حصن على مقربة من غرناطة تم شحنه بالجند لإرهاق المدينة (٦٠)، إلا أن المعتمد فشل فى السيطرة على غرناطة فبينما كان يحاصرها، كان المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة يسعى من جانبه لضم قرطبة إلى مملكته، وبعد وفاة المعتضد بن عباد تحرك المأمون نحوقرطبة، ولما شعر عبد الملك بن أبي الوليد بن جهور بعجزه عن المقاومة استنجد بالمعتمد بن عباد الذي كانت قرطبة منتهى آماله (٦١).

إضافة إلى قيام الوزير سماجة بحشد قوات صنهاجة وأبدى شجاعة فائقة في الدفاع عن المدينة، لذلك اضطر المعتمد إلى سحب قواته وقوات ألفونسو، وعاد إلى إشبيلية، فأقدم عسكر عبد الله الزيري عندئذ على احتلال الحصن الذي صار في ملك ابن بلقين(٦٢).

٢- مراسلات ابن عمار مع ألفونسوالسادس ومفاوضاته ضد مملكة غرناطة

خيم الخطر على غرناطة من جديد عندما اتصل الوزير ابن عمار بألفونسوالسادس، وقام بتحريضه على غزوأراضي غرناطة، وزين له سهولة افتتاحها، وذلك حين أرسله المعتمد بن عباد على رأس سفارة ثانية إلى ملك قشتالة؛ ليعقد معه اتفاقاً يقضى بتعاون الفريقين في افتتاح

غرناطة، وأن تكون المدينة ذاتها لابن عباد في حين تؤول سائر أموالها لألفونسوالسادس، وفوق ذلك تعهد ابن عباد بزيادة مقدار الجزية السنوية التي كان يدفعها أبوه المعتضد لملوك قشتالة منذ عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وأن يجعلها خمسين ألف دينار ذهب كل عام إذا تم فتح غرناطة [٦٣].

وقد أظهر ابن عمار لألفونسوأن صاحب غرناطة ملك ضعيف لا يقدر على مقاومته، وكانت نتيجة هذه السفارة أن وافق ألفونسووسار بنفسه على رأس جيش إلى غرناطة، ومعه جيش ابن عمار، ولما وصل إلى أبواب غرناطة أرسل إلى عبد الله يأمره بالخروج إليه، فقام الأخير باستشارة كبار رجال دولته الذين أشاروا عليه بالخروج إلى الفونسووالتحدث إليه بلين فذهب عبد الله للقاء ألفونسوالسادس على مقربة من غرناطة، فاستقبله ألفونسواستقبالاً طيباً، وأبدى حسن نيته في معاونته على حماية غرناطة مقابل أن يفيه بخمسين ألف مثقال، وبعد مفاوضات ومساومات ارتضى الطرفان على ثلاثين ألف مثقال يقدمها عبد الله الزيري لألفونسو[٦٤]، وبعد أن أخذ ألفونسوالمبلغ عاد إلى ابن عمار يلومه كيف صور له أن غرناطة في ضعف وملكها صغير لا يعقل، وبذلك استطاع ألفونسوبعد نظره أن ينجح في الإستيلاء على أموالهم كما كان يتمنى [٦٥]، وكان المقابل في البداية ما لا يؤدى إلى الملك النصراني، لم يلبث أن تحول إلى جزية يقع عبؤها على الرعايا الأندلسيين، ثم تحول إلى تنازل عن أراضي إلى جانب الجزية وقد كانت سياسة التنازلات التي اتبعها ملوك الطوائف تؤدي إلى مزيد من الدعم للنصارى وإلى مزيد آخر من العدوان، وعندما كان يتوقف ملك من ملوك الطوائف عنها فإن عقابه يكون شديداً[٦٦].

٣- مراسلات ابن عمار مع ألفونسوالسادس

أ- سفارة ابن عمار إلى ألفونسوالسادس ونجاة إشبيلية "معركة الشطرنج "

على الرغم من أن المعتمد بن عباد كان أقوى ملوك الطوائف إلا أن الانتصارات الباهرة التي أحرزها لم تجعله اكثر استقلالًا عن غيره من ملوك الأندلس؛ حيث كان المعتمد يدفع الجزية لغرسيه أحد أبناء فرناندو، ولما استولى ألفونسوالسادس على ملك أخويه غرسيه وسانكوأصبح هوالذي تُدفع له الجزية المفروضة [٦٧].

لم يكتف ألفونسوالسادس ملك قشتالة بالجزية السنوية التي كان يتقاضاها من الملوك المسلمين، وكان من حين إلى آخر يهددهم بالإستيلاء على أملاكهم وحدث ذات يوم أن جاء ألفونسولغزوإشبيلية، ففزع أهلها من كثرة جيوش المسيحيين، وتيقنوا هلاكهم على أيديهم، إلا أن هذه الجيوش قد ارتدت على أعقابها بحيلة غريبة من الوزير ابن عمار فبدلًا من اعداد جيش للمقاومة والدفاع أمر بإعداد رقعة شطرنج [٦٨]"غاية في الإتقان والإبداع لم يكن عند ملك مثلها، جعل صورها من الأبنوس والعود الرطب والصندل، وحلاها بالذهب، وجعل أرضها في غاية الإتقان "[٦٩]، وخرج من عند المعتمد رسولٌ إلى ألفونسوالسادس الذى تلقاه بالترحاب، وبالغ في إكرامه حيث أمر كبار قواده بالتردد على ابن عمار في خيمته التي خصصها له وأظهر ابن عمار رقعة الشطرنج وما أن رآها الحاضرون حتى نقلوا خبرها إلى ألفونسوالذي كان يهوى هذه اللعبة فبعث في طلب ابن عمار وقال له:

"بلغني أن عندك سفرة في غاية الإتقان " فأجاب ابن عمار: نعم

فقال له ألفونسو"فكيف السبيل إلى رؤيتها ؟ " فقال ابن عمار " أنا آتيك بها على أن ألعب معك عليها فإن غلبتني فهى لك وإن غلبتك فلي حكمي "

فقال ألفونسو: " احضرها لننظر اليها "

فأمر ابن عمار من جاء بها، ودهش ألفونسومن إتقانها وقال:

" ما ظننت أن إتقان الشطرنج يبلغ إلى هذا الحد "

ثم قال لابن عمار: " كيف قلت ؟"، ولما أعاد ابن عمار عليه الكلام الأول قال ألفونسو:

" لا ألعب معك على حكم مجهول لا أدرى ما هو؟، ولعله شئ لا يمكنني"

فقال ابن عمار: "لا ألعب إلا على هذا الوجه" وقام بطوي الرقعة.

ولما كان ألفونسويرغب في إقتناء الرقعة قام بمشاورة خاصته، وكان ابن عمار قد جعل لبعضهم أموالاً عظيمة على أن يساندونه على أمره بعد أن كشف لهم ما أراده، ولذلك فقد هونوا الأمر على ألفونسوحتى أرسل إلى ابن عمار فجاء ومعه الرقعة فقال له ألفونسو:

" لقد قبلت ما رسمته"

فقال ابن عمار " أجعل بيني وبينك شهوداً نزولاً على قوانين اللعبة، وأذن لي في إختيار الشهود".

ولما وافق الملك النصراني على ذلك بدأ اللعب وغلب ابن عمار ألفونسوغلبة ظاهرة لجميع الحاضرين فقال لألفونسو: " هل صح أن لي حكمي ؟"

فقال ألفونسو: " نعم، فما هو؟ "

فقال ابن عمار: " أن ترجع من هنا إلى بلادك وتعود بجيشك "

ولما هَمَّ ألفونسوبالنكث والتمادى لوجهه، قبح له رجاله ذلك، وقالوا له: " كيف يجمل بك الغدر وأنت ملك ملوك النصارى في وقتك " ولم يزالوا به حتى سكن وطلب إتاوة عامين خلاف تلك السنة فوافق ابن عمار(٧٠).

وكانت هذه الحيلة التي لجأ إليها ابن عمار سببًا في نجاة إشبيلية وتراجع ألفونسوإلى بلاده، ومِنْ ثَمَّ تجنبت إشبيلية ويلات الحرب مع ملك قشتالة.

ب- **استنجاد ابن عمار بألفونسو**

على الرغم من الهزيمة التي تعرض لها ابن عمار في حملته الأولى على مدينة بلنسية إلا أنه كان حريصاً على الإستيلاء عليها، ولذلك كان يلح على ابن عباد في أن يبعثه من جديد على رأس حملة لضم المدينة، وذلل له الأمر وهونه عليه، وأخبره بأنه تلقى كتباً من أعيان المدينة يؤكدون له تأييدهم له ونصرته، ولم يلبث المعتمد أن وقع تحت تأثير هذا الإغراء، فعهد إليه بقيادة حملة جديدة، وقلده ولاية جميع البلاد التي يقوم بفتحها(٧١).

وفي سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م خرج ابن عمار على رأس الجيش الإشبيلي قاصداً مرسية، وعاونه في فتحها عبدالرحمن بن رشيق حاكم حصن بليج الذي قبض على ابن طاهر، فدخل ابن عمار مرسية في موكب عظيم، وعلى رأسه تاج مرصع كالذي يضعه الملوك على رؤوسهم، ولم يكد يستقر في مرسية حتى بدأت تظهر عليه دلائل الغدر والخيانة لسيده (٧٢).

استغل ابن رشيق فاتح المدينة الحقيقي فرصة خروج ابن عمار لتفقد بعض الحصون فاستولى على المدينة، ومنع ابن عمار من دخولها؛ لذلك فَرَّ ابن عمار إلى بلاط ألفونسوالسادس ملك قشتالة طالباً المساعدة إلا أن ألفونسورفض طلبه حيث أرسل إليه ابن رشيق الأموال والهدايا مقابل الإعراض عن ابن عمار الذي قال له ألفونسو:

" أنا لا أرى فيكم إلا أنكم جماعة من اللصوص، فاللص الأول قد سرق، وجاء الثاني فسرق من الأول ما سرقه. وجاء الثالث فسلب من الثاني ما سرقه من الأول " (٧٣).

وعلى ذلك اتجه ابن عمار إلى سرقسطة ودخل في خدمة بني هود حتى انتهى به المطاف إلى القبض عليه وإرساله إلى المعتمد بن عباد الذي قام بقتله بيده سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م (٧٤).

ج- سفارة المعتمد بن عباد إلى ملك قشتالة ٤٧١هـ/١٠٧٨م

بعد سقوط مرسية في يد ابن عباد عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م، أراد أن يؤكد صداقته وتبعيته لألفونسوالسادس خصوصاً بعد أن امتدت إمارته واتسعت لتشمل مرسية على ساحل البحر المتوسط في شرق الأندلس فقام ابن عباد بإرسال سفارة إلى ملك قشتالة على رأسها وزيره البارع ابن عمار الذي وصل إلى عاصمة قشتالة وعقد حلفاً مع ألفونسوالسادس، وخلاصته أن يقوم ملك قشتالة بمعاونة المعتمد في حروبه ضد أعدائه المسلمين بالجند والمرتزقة، على أن يقوم المعتمد بأداء جزية سنوية كبيرة لألفونسوالسادس بلغت خمسين ألف دينار، ويغزوأراضي مملكة طليطلة الجنوبية، ويسلم لألفونسومنها الأراضي الواقعة شمالي جبال سيرامورينا "جبل الشارات " (٧٥). بل وتزيد الرواية القشتالية على ذلك أن المعتمد قدم في هذه المناسبة إحدى بناته لتكون زوجة أوحظية لملك قشتالة وهى التي تعرفها الرواية القشتالية باسم زائدة (٧٦).

على أن الرواية العربية تنفي ذلك عن أمير إشبيلية؛ إذ لم يكن من المعقول أن يرضى أمير مسلم أن تكون ابنته حظية لملك نصراني، حتى إن كان المعتمد لا يقيم وزناً للإعتبارات الدينية والشرعية فمن المستحيل ألا يثور شعبه المسلم عليه وأن يسحقه ويسحق أسرته.

ولما كانت زائدة بالفعل زوجة أوحظية لملك قشتالة، وانجبت له ولده غير الشرعي سانشوالذي قتل صبياً في معركة اقليش ٥٠١هـ/ ١١٠٨م فإن تفسير ذلك هوأن زائدة هى امرأة مسلمة اعتنقت المسيحية وليست بنت المعتمد بن عباد بل كانت قبل تنصرها زوجة أوحظية لولده المأمون بن عباد(٧٧).

وهكذا ضحى المعتمد بطليطلة مقابل بسط نفوذه على الإمارات التي لم تخضع بعد وهى: إمارات غرناطة، وبطليوس، وسرقسطة، وقد وهب ألفونسوالسادس ابن عمار خاتمين ثمينين جزاء جهوده(٧٨).

بعد توقيع هذا الإتفاق الذى أبرمه ألفونسوالسادس مع ابن عمار سفير المعتمد بن عباد تأكد أن جميع ملوك الطوائف بإستثناء أمير بطليوس ابن الافطس قد خضعوا له تماماً، فلم يعد يخشى شيئاً إذا ما تحرك لمهاجمة طليطلة. وعلى الجانب الآخر فقد تحرك المعتمد بن عباد نحوغرناطة؛ ليضمها إلى سلطانه، وكان حاكمها عبد الله بن بلقين بن باديس، وكان ابن هود أمير سرقسطة يرى الخطر يشتد عليه يوماً فيوماً من سانشوالأول ملك أراجون، فلم يستطع إنجاد طليطلة سوى أمير بطليوس يحيى بن الأفطس الملقب بالمنصور؛ حيث جمع قواته وسار إلى لقاء ألفونسوولما شعر ألفونسوباقتراب المنصور انسحب، ولكنه عاد في العام التالي ليباشر أعماله الحربية ضد طليطلة، وأخذ في الإغارة على ما حولها يخرب المزارع، والقوى والأقوات، ويتلف المحاصيل حتى خربها وأشاع فيها الفوضى، وزحف المعتمد على بطليوس وبذلك تمكن من أن يحول دون مساعدة بني الأفطس لطليطلة، كما لم يستطع أمير سرقسطة المؤتمن مساعدة القادر مساعدة قوية؛ خوفاً من وقوع سرقسطة فريسة لابن عباد أوالنصارى وهوفي جهاد ضد أراجون وبرشلونة(٧٩).

وفي السابع والعشرين من المحرم سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م تمكن ألفونسوالسادس من دخول طليطلة واتخاذها حاضرة ملكه، فأصبحت بذلك عاصمة إسبانيا النصرانية (٨٠).

٤- سفارة السيد القنبيطور إلى المعتمد بن عباد ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م

كان ألفونسوالسادس يرسل في كل عام رسله لقبض الجزية من المعتمد، وكان رسول ألفونسوإلى المعتمد لقبض الجزية فى سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م الفارس القشتالي ردريجوبيبار الملقب بالسيد القنبيطور، وقد صادف في ذلك الوقت زحف قوات عبد الله الزيري بمعاونة سرية من الفرسان النصارى بقيادة غرسيه كان قد بعثها ألفونسونحوأراضي إشبيلية؛ ليعاقب المعتمد ويؤدبه في عقر داره، فتدخل السيد لصالح المعتمد حيث طلب من مواطنيه النصارى الكف عن مهاجمة إشبيلية؛ احتراماً للصداقة التي يكنها ألفونسوللمعتمد إلا أن هؤلاء لم يهتموا بحديثه لذلك خرج السيد القمبيطور لقتالهم وأوقع بهم الهزيمة وأسر جماعة من الأشراف المسيحيين، بينهم غرسيه فسر المعتمد من تصرفه، وأدى إليه الجزية إضافة إلى العديد من الهدايا والتحف(٨١).

أدى تصرف السيد القنبيطور إلى إثارة حقد غرسيه أوردونيث عليه خاصة أنه كان لابد لغرسيه ومن معه أن ينتظروا ثلاثة أيام قبل أن يفك القنبيطور أسرهم ويستأنفوا طريقهم إلى برغش، وقد لحقهم الذل الشديد لذلك قام غرسيه بحملة من الدسائس ضد السيد وانضم إليه عدد كبير من المناصرين حتى أفصح البلاط القشتالي بأجمعه عن شعوره العدائي حيال القنبيطور، فانتظر الفونسوالفرصة للتخلص منه وبينما كان الفونسويهاجم مملكة طليطلة، وصل إلى مسامع السيد وهوفى برغش نبأ هجوم موفق شنه فريق من المسلمين على حصن غرماج على خط نهر الدويرة، فقام دون الرجوع إلى الفونسوبصد هجمات المسلمين وعاد بغنائم كثيرة وآلاف الأسرى، وقد صور نبلاء قشتالة لألفونسومدى إفراط السيد وتجازوه الحد، وقد أذعن ألفونسوالسادس لقولهم وأبلغ السيد أنه منفي من بلاده (٨٢).

٥- المراسلات العدائية بين ألفونسوالسادس ملك قشتالة والمعتمد بن عباد

أ- سفارة ألفونسوإلى المعتمد ٤٧٨هـ/١٠٨٥م

وجه ملك قشتالة اهتمامه نحوالمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية حيث كان أقوى ملوك الطوائف، وكان منتظراً منه أن يقوم بمهمة حماية الأندلس، ولكنه انشغل بصراعات داخلية

أضعفت المسلمين، وكان المعتمد يتعامل مع العدومعتمداً على المبادرة الدبلوماسية –كسائر ملوك الطوائف– ودفع أذاهم بالجزية، وقد كتب إلى ألفونسوألا يتعدى حدود طليطلة [٨٣].

ويبدوأن ألفونسوحينما وقع اختياره على مملكة المعتمد بن عباد، كان يهدف إلى ضرب القوى الرئيسة لدى المسلمين، وبعد ذلك فإنه يتمكن بكل سهولة من إخضاع باقى الدويلات الإسلامية التي كانت أضعف من أن تقاوم، كما أن أكثرها يدور في فلكه، وعلى الرغم من ذلك، فقد راعى شروط المعاهدات المعقودة مع المعتمد فلم يهاجمه مباشرة، بل بدأ في استفزازه وطلب منه أموراً مستحيلة التنفيذ، فسأله أن يتخلى له عن معاقل وحصون على الحدود، كان الموت عنده أهون عليه من إعطائها [٨٤].

وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م أرسل ألفونسوالسادس إلى ابن عباد سفارة مكونة من خمسمائة فارس برئاسة يهودى يدعى ابن شاليب؛ لإستلام الجزية ونزل الوفد القشتالي خارج مدينة إشبيلية[٨٥]، وكان في ذلك الوقت يتم استخدام اليهود كسفراء بين أمراء المسلمين وملوك إسبانيا في الأندلس وذلك بسبب إجادة اليهود لغات متعددة منها اللاتينية والعربية واليونانية والفارسية [٨٦].

وجه المعتمد بن عباد المال مع بعض شيوخ المدينة، وأعيانها وفي مقدمتهم الوزير أبوبكر بن زيدون. فلما قدموا المال والسبائك رفض اليهودي أن يتسلمها وكان خبيراً في معرفة الزائف من الصحيح من العملة متحججاً بأنها من عيار زائف،ولم يقف عند هذا الحد بل تجرأ السفير وخرج عن اللياقات الدبلوماسية [٨٧] وأغلظ فى القول للمعتمد:

" والله لا آخذ منه هذا العيار، ولا آخذ منه إلا مشجراً، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلا أجفان البلاد "[٨٨].

لما وصل إلى مسامع المعتمد ما قاله السفير اليهودي لم يملك زمام نفسه وصاح في جنده:

"ائتوني باليهودي وأصحابه واقطعوا حبال الخباء "

ففعلوا وجاءوا بهم، فقال المعتمد:

" اسجنوا النصارى، واصلبوا هذا اليهودي "

فقال اليهودي: " لا تفعل وأنا أفتدى منك بزنتي مالاً "

فقال المعتمد: " لوأعطيتني العدوة والأندلس ما قبلتهما منك "

وصلب اليهودي.

لما بلغ الخبر لألفونسو، كتب إلى المعتمد لإطلاق سراح المعتقلين، فاشترط المعتمد أن يرد إليه حصن المدور لقاء إطلاق سراحهم، وقَبِلَ ألفونسوهذا الشرط ورد الحصن إليه فأطلقهم، وكان ألفونسوحينما علم بنبأ صلب اليهودي وحبس رجاله أقسم ليغزون إشبيلية نفسها وقال:

" لا أرفع يدى عنه، وسأحشد من الروم عدد شعر رأسي، وأصل بهم الزقاق " (٨٩).

وقد ذكر المقري نقلاً عن الحميري أن ألفونسوالسادس طلب زيادة عن الضريبة والحصون أن يسمح المعتمد لزوجة ألفونسوأن تلد في جامع قرطبة بناءً على نصيحة الأساقفة؛لأن الطرف الغربي كان موقع كنيسة قرطبة القديمة، وسأله أن تنزل بالزهراء مدينة الخليفة الناصر، لتكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة المزعوم، ولما رفض ابن عباد هذا الطلب راجعه ابن شاليب، وأغلظ له القول حتى أغضبه، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي قبل أن يأمر بصلب رأسه منكوساً (٩٠).

وظَّف العلماء هذا الموقف؛ لإشعال جذوة الجهاد عند المعتمد فأثنى الفقهاء على ما قام به المعتمد وخاصة الفقيه محمد بن الطلاع الذى نصحه بعدم التهاون مع هذا الوفد، وضرورة الإستمرار في سياسة التحدي، ومقاومة مطالبهم لذلك أمر المعتمد بقتل السفير اليهودي، وحين سئل الفقيه ابن الطلاع عن سبب إصدار هذه الفتوى رد قائلاً:

" إنما بادرت بالفتوى خوفاً من أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو، وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين خيراً " (٩١).

وتنبغي الإشارة إلى رواية أوردها ابن الآبار في كتابه " الحلة السيراء"، وانفرد بها عن كافة المصادر العربية والأجنبية، وهى تفسر سبب تشدد ابن شاليب رسول ألفونسوالسادس في أمر الجزية؛ ذلك أن المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية اشتهر بتدليسه للعملة كما حدث مع رامون برنجير حاكم برشلونة حيث دفع له المعتمد ثلاثين ألف دينار مزيفة لإفتداء ابنه الرشيد من أسر حاكم برشلونة (٩٢).

حشد ألفونسوالسادس جيشاً ضخماً من الجلالقة والقشتاليين والبشكنس؛ انتقاماً من ابن عباد وعاث في أحواز باجة ولبلة، ثم وصل إلى أراضي إشبيلية وهويحرق القرى وينسف الزروع، ويسبي كل من يقع في يده من المسلمين ثم حاصر إشبيلية نفسها مدى ثلاثة أيام (٩٣).

ب- **رسائل التهديد والوعيد**

كان المسلمون والصليبيون يتبادلون رسائل التهديد والوعيد في شتى المناسبات، فبعد أن سقطت طليطلة على يد ألفونسوالسادس وجيشه الزاحف سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م واستولى على أعمالها، شعر بأنه اضحى قادراً على تحدي ملوك الطوائف والقضاء عليهم واحداً تلوالاخر، فمد بصره إلى بقية المدن الاندلسية، وطمع في الإستيلاء على الجزيرة كلها، وأخذ يرسل إلى ملوك الطوائف رسائل يتهددهم فيها، طالباً منهم أن يسلموا بعض القواعد والحصون، وأن يؤدوا الجزية له فى كل سنة، ويتوعدهم بشر العاقب. وقد بدأ بالمعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف يطالبه بتسليم أعماله ويحذره من مخالفته له، وأن يعتبر بما حدث لطليطلة حيث أرسل له رسالة تهديد حملها إليه سفيره البرهانس (٩٤) يقول فيها:

" من القنبيطور، ذي الملتين، الملك المفضل، الأذفنش بن شانجه، إلى المعتمد بالله سدد الله آراءه، وبصره مقاصد الرشاد: سلام عليك، من مشيد ملك شرفته القنا، ونبتت في ربعه المنى، فاعتز اعتزاز الرمح بعامله، والسين بساعد حامله، وقد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها وما صار بأهلها حين حصارها، فأسلمتم إخوانكم، وعطلتم بالدعة زمانكم، والحذر من أيقظ باله، قبل

الوقوع في الحبالة، ولولا عهد سلف بيننا، نحفظ زمامه ونسعر بنور الوفاء أمامه، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده، ووصل رسول الغزوواوارده، لكن الانذار، يقطع الإعذار، ولا يعجل إلا من يخاف الفوت فيما يرومه، أويخشى الغلبة على ما يسومه،وقد حملنا الرسالة إليكم القرمط ألبرهانس، وعنده من التسديد الذي يلقى به أمثالك، والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك، مما أوجب استنابته فيما يدق ويجل، وفيما يصلح لا فيما يخل وأنت عندما تأتيه من آرائك، والنظر بعد هذا من ورائك، والسلام عليك يسعى بيمينك وبين يديك " (٩٥).

وجاء رد المعتمد قوياً على هذه الرسالة، فقال له:

" من الملك المنصور بفضل الله، المعتمد على الله، محمد بن المعتضد بالله، أبي عمروبن عباد، إلى الطاغية الباغية أذفنش بن شانجه، الذي لقب نفسه بملك الملوك، وسماها بذى الملتين، قطع الله دعوته.

سلام على من أتبع الهدى، أما بعد:

فإنه أول ما نبدأ به من دعواه، أنه " ذوالملتين " والمسلمون أحق بهذا الاسم؛ لأن الذى تملكوه من أمصار البلاد، وعظيم الإستعداد، ومجبي المملكة، لا يملكه قدرتكم، ولا تعرفه ملتكم.... والحمد لله الذى جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك، بالموت دونه، وبالله نستعين عليك، ولا نستبطئ في مسيرتنا اليك، والله ينصر دينه الكريم؛ " ولوكره الكافرون" والسلام على من علم الحق فاتبعه، واجتنب الباطل وخدعه" (٩٦).

وفي أثناء حصار ألفونسولقصر المعتمد بن عباد وخلال أيام مقامه هناك كتب أيضاً إلى ابن عباد زارياً عليه:

" كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب، واشتد عليَّ الحر فأتحفنى من قصرك بمروحة أروح بها عن نفسي، وأطرد الذباب عن وجهي " فوقع له ابن عباد بخط يده على ظهر الورقة:

" قرأت كتابك وعلمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله " (٩٧).

جـ – سفارة ابن مشعل

أرسل المعتمد بن عباد، ذات مرة، سفارة إلى ألفونسوالسادس ملك قشتالة برئاسة يهودي يسمى ابن مشعل، وعلى الأرجح كان الهدف من هذه السفارة محاولة التفاوض مع ملك قشتالة حتى يكف يده عن ممالك الطوائف، ولم تذكر المصادر العربية والإسبانية أية تفاصيل عن هذه السفارة، وكل ما وردنا عنها هوحديث ألفونسولسفير المعتمد بن عباد الذي يعبر فيه عن احتقاره لملوك الطوائف حيث قال له:

" كيف أترك قوماً مجانين، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم، وأمرائهم، المعتضد والمعتمد والمعتصم، والمتوكل والمستعين والمقتدر والامين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسل في الذي عن نفسه سيفًا، ولا يرفع عن رعيته ضيمًا ولاحيفًا، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان، وكيف يحل البشر أن يقر منهم على رعيته أحداً وأن يدعها بين أيديهم سدًا " (٩٨).

الخاتمة

كان حال الأندلس الإسلامية بعد سقوط الخلافة الأموية في تمزق وانحلال سياسي؛ حيث توزعت البلاد إلى دويلات يحكم كل واحدة منها ملك استبد بنفسه فى الحكم. وهويعرف بعصر الطوائف-كما ذكرنا سابقًا-، والغريب أنهم كانوا يستعينون بألفونسوالسادس ملك قشتالة عدوهم والقوة الكبرى المتحكمة في منطقة الأندلس آنذاك، مما جعله يستخف بهم ويؤلب أحدهم على الآخر، ويرهقهم بالضرائب الباهظة، ويحاصر المدن، ويشغلهم في حروب مستمرة أنهكت قواهم، ومن ثم أخذت مدن الأندلس تتساقط في يديه تباعاً كمدينة طليطلة، وبعضهم الآخر فرض عليه الحصار كإشبيلية. وألفونسوالسادس يبذل قصارى جهده لإسترداد أرض الأندلس كلها من أيدى المسلمين.

إن أبرز ما اتسم به عصر ملوك الطوائف هوالأنانية المفرطة وحب الذات، ولاسيما عند علية القوم، فالكثير منهم لا هم له إلا السعي من أجل مصلحته الذاتية، وإشباع أنانيته، وتثبيت أقدامه في السلطة على حساب مصلحة المسلمين، فكانت السمة الغالبة في علاقات ملوك الطوائف فيما بينهم هى العداء المستحكم، والخصام الدائم حول المصالح الذاتية فكان كل أمير يجعل إرادته القانون الذي يرجع إليه، ويتربص بجيرانه من الأمراء، ويتحين الفرصة للانقضاض عليهم وإزالة ملكهم، أولإقتطاع جانب من أملاكهم وضمها إلى أملاكه، ولا يرى بأساً في ذلك من اللجوء إلى الخديعة ومراسلة العدوالرابض للإيقاع بالأمراء جميعهم ولعل أبرز مثال على ذلك العلاقة العدائية التي كانت بين المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وعبدالله بن بلقين صاحب غرناطة حيث استمر النضال بين الجانبين طوال عهود طويلة.

استيقظ ملوك الطوائف على الحقيقة المرة التي آل إليها حالهم، والنهاية المحتومة التي تنتظرهم إن لم يتداركوا أمرهم، خاصة بعد أن سقطت طليطلة على مرأى ومسمع من المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية الذي غلت يده المعاهدة التي كان قد أبرمها مع ألفونسوالسادس ملك قشتالة؛ كي يعينه على جيرانه مقابل أن يتعهد المعتمد بأن يؤدي الجزية لملك قشتالة وأن يطلق يده في طليطلة.

وعلى الرغم من تمزق وحدة الأندلس سياسياً وتعاظم العصبية والعنصرية الإجتماعية، إلا أن الحياة العلمية والفكرية لهذا العصر عموماً قد شهدت أوج إزدهارها، وهذا راجع إلى التراكم المعرفي الموروث عن العصور السابقة، كذا التنافس بين أمراء الطوائف المتصارعين على جلب العلماء والأدباء والشعراء إلى بلاطتهم وتشجيعهم من أجل إظهار عظمة إمارتهم.

الهوامش

١- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط٦، مج٤، ص٣٧٠؛ هشام محمود الأقداحي، علم التفاوض الدولي والإتصال الدبلوماسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٣٧؛ صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية فى الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص١٢٧.

٢- صلاح محمد عبد الحميد، فن التفاوض والدبلوماسية، مؤسسة طيبة، القاهرة، ٢٠١١م، ط١،ص ٩٨؛ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت، ج٣، ص ٢٠٦، ٢٠٧؛ جمال أحمد جميل نجم، أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٨ م، ص ١٢؛ حسن فتح الباب، مقومات السفراء في الاسلام، ص٩.

٣- صبحى محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، ص١٣١.

٤- جمال أحمد نجم ، أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، ص ١٩.

٥- خليل حسين، المراسم والتشريفات الدبلوماسية وقواعد اللياقة والمجاملة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط١، ص٥١٦.

٦- صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، ص١٢٩.

٧- إبراهيم العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا، ص ٥٢؛ عبد التواب مصطفى، العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٤م، ط١، ص ٥٨.

٨- هشام محمود الأقداحي، علم التفاوض الدولي والإتصال الدبلوماسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٤٤؛ عطا محمد صالح زهرة، في النظرية الدبلوماسية، ص٥٧؛ محمد التابعي، السفارات في الإسلام، ص١٩٩.

٩- عطا محمد صالح زهرة، المرجع السابق، ص ٥٨؛ محمد التابعي، المرجع نفسه.

١٠- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط١، ص١٢٨.

١١- عبد المتعال محمد الجبري، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ط١،ص٣٧، ٣٨.

١٢- إبراهيم العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا، ص٢٤، ٢٥.

١٣- شوقي أبوخليل، الحضارة العربية والإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٤م، ط١،ص ٣٢٠.

١٤- فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ط١، ص٨٩.

١٥- سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف(٤٢٢هـ/٤٨٨م – ١٠٣٠م /١٠٩٥م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، رسالة منشورة، ص٣٩٠.

١٦- أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ١٩٩٢م، مج١، ص٤٣.

١٧- فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس، ص ١٥١.

١٨- العياسي،آثار الأول في ترتيب الدول، ص٥٢.

١٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٦٦.

٢٠- ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ط٣ ، ج٣، ص ١٩٥؛ عنان، دول الطوائف، ص ٣٢.

٢١- ا بن خلدون،العبر، مج٤، ص ٢٠٠؛ زامبارو، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٨٦.

٢٢- ابن عذارى،البيان المغرب، ج٣، ص ١٩٣.

٢٣- أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ط١، ج ٢، ص٣١١.

٢٤- عنان، دول الطوائف، ص ٣٢.

٢٥- ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٤.

٢٦- ابن عياض، ترتيب المدارك، ص ٣١٢.

٢٧- الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ط٢،ج١، ص ٧٥.

٢٨- ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٩٥، ١٩٦؛عنان، دول الطوائف، ص٣٥.

٢٩- المراكشي، المعجب، ص ١٥١؛ ابن عذارى،البيان المغرب،ج٣، ص ٢٤٤؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)،سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،

١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ط١١، ج ١٨، ص ٢٥٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥٤، ١٥٥.

٣٠- الذهبي ، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه

٣١- لبلة مدينة قريبة من إشبيلية كثيرة الخيرات، وبها نهر يقال له لهشر.زكريا بن محمد بن محمود القزويني،آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص ٥٥.

٣٢- ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص ٢٠٤؛ عنان، دول الطوائف، ص ٤٢.

٣٣- ابن عذارى،المصدر نفسه.

٣٤- ابن عذارى، ج٣، ص ٢١٦؛ عنان، دول الطوائف، ص ٤٣؛ عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، مطبعة كريمادس، تطوان، المغرب، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص ٨٩.

٣٥- ابن عذارى، ج٣، ص ٢١٣. ابن بسام، الذخيرة، ق٢،مج ١،ص ٣٨: ٤٠؛ ابن عذارى،ج٣،ص ٢٧٠، ٢٧١؛؛ ابن خلدون، العبر، مج٧،ص ٣٣٩؛عنان، دول الطوائف،ص ٤٥؛عبدالسلام الطود، ص ٩٤،٩٥؛ فرحات الدشراوي، مملكة إشبيلية في القرن ٥هـ/ ١١م، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية، تونس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، العدد ٧، ص ٣٣، ٣٤.

٣٦- ابن بسام، الذخيرة، ق٢،مج ١،ص ٣٨: ٤٠؛ ابن عذارى،ج٣،ص ٢٧٠، ٢٧١؛؛ ابن خلدون، العبر، مج٧،ص ٣٣٩؛عنان، دول الطوائف،ص ٤٥؛عبدالسلام الطود، ص ٩٤،٩٥؛ فرحات الدشراوي، مملكة إشبيلية في القرن ٥هـ/ ١١م، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية، تونس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، العدد ٧، ص ٣٣، ٣٤.

٣٧- ولد المعتمد بن عباد بمدينة باجة سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م، وملك من البلاد بين مدن وحصون مائتي سور وإحدى وثلاثين مسوراً. ابن دحية (أبي الخطاب عمر بن حسن)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرون، راجعه طه حسين،

مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٤، ١٥؛ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص ٢٨٣.

٣٨- عنان، دول الطوائف، ص ٦١.

٣٩- عنان، دول الطوائف، ص ٦٣.

٤٠- ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ص ١٥٩؛ بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، دار نظير عبود، القاهرة، د.ت، ص ١٤٧، ١٤٨.

٤١- فرناندو: هوالابن الأكبر لسانشوالكبير الذى حكم قشتالة في أول الامر، ثم نجح في هزيمة ملك ليون برمودوالثالث في معركة بالقرب من ليون، وتمكن من قتله وضم مملكته وتلقب بالإمبراطور. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، هامش (٢)، ص ٧٥.

٤٢- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، ص ٢٣٠؛ رجب محمد عبدالحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٣٨٤؛ عبد المجيد نعنعى، الإسلام في طليطلة، ص ١٥٣.

٤٣- رجب محمد عبد الحليم، المرجع نفسه؛ يوسف حوالة، بنوعباد في إشبيلية، ص ١٦٦.

٤٤- عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، ص ١٠٧.

٤٥- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق حسن حبشي، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ج٣، ص٨٠.

٤٦- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ص ٨٠.

٤٧- رينهرت دوزي، ص ٨١؛ عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، ص ١٠٨.

٤٨- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ص ٨٢؛ عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، ص ١٠٨.

٤٩- جلال زناتي جلال زناتي، مملكة قشتالة وليون في عهد ألفونسوالسادس (١٠٦٥-١١٠٩م/٤٥٧-٥٠٢هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٦٨. Lucas opispo de tuy ,cronica de Espana , por Julio puyol , Madrid , ١٩٢٦ , p.٣٦٤.

٥٠- المراكشي، المعجب، ص ١٥٧.

٥١- المراكشي، المصدر السابق، ص ١٥٨.

٥٢- عنان، دول الطوائف، ص ٦٢.

٥٣- هوأبوبكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشلبي ولد سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، ينسب إلى مدينة شلب التي نشأ فيها وأخذ الأدب من علمائها، ثم رحل إلى قرطبة فأتم دراسته، ونبغ فى الشعر، وجال في الأندلس مادحاً الملوك؛ ابتغاء منحهم وعطاياهم حتى استوزره المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ولقبه بذي الوزارتين إلا أنه ملكه الغرور بعد ما فتح مرسية للمعتمد فاستقل بها وهاجم المعتمد بهجاء لاذع، الأمر الذي دفع المعتمد لتوجيه سهام المكايد إليه حتى وقع في يده وقتله فى سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م بمدينة إشبيلية. ابن الآبار، الحلة السيراء، ص ١٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٤، ص ٤٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج ١٨،ص ٥٨٣؛ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ١٩٤: ١٩٦ ؛ على أدهم، المعتمد بن عباد، ص ٩٤، ٩٥.

٥٤- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٦٨، ٢٦٩؛ رجب عبد الحليم، ص ٣٨٥؛ عنان، دول الطوائف، ص ٦٣؛ يوسف حوالة، بنوعباد في إشبيلية، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

٥٥- مريم قاسم الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣/ ١٠١٢-١٠٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ط١، ص ١٨٠.

٥٦- ابن بلقين، مذكرات الأمير عبدالله بن زيري المعروفة باسم التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.ص ٦٩.

٥٧- التبيان، المصدر نفسه.

٥٨- المراكشي، المعجب، ص ٦٣؛ عنان، دول الطوائف، ص ٧٠؛ يوسف حوالة، بنوعباد في إشبيلية، ص ٢٠٣.

٥٩- ابن بلقين، التبيان، ص ٦٩، ٧٠.

٦٠- ابن بلقين، التبيان، ص ٧٠؛ عنان، دول الطوائف، ص ٦٣؛ رجب عبد الحليم،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٣٨٥؛ مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص١٨٠؛ علي أدهم، المعتمد بن عباد، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت، ص ٢١٠.

٦١- ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج ٢، ٦٠٩؛ ابن عذارى، ج ٣، ص ٢٥٧.

٦٢- التبيان، ص ٧١؛ رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٣٦٣.

٦٣- ابن بلقين، التبيان، ص ٧٢؛ أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص ٩٩.

٦٤- التبيان، ص ٧٤، ٧٥.

٦٥- التبيان،المصدر نفسه؛ مريم قاسم،مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ص ١٨١.

٦٦- أبوأدهم عبادة بن عبد الرحمن كحيلة، أندلسيات، د.ن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ط٢، ص ١٣٥.

٦٧- عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، ص ١٣١؛ علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص ١٤٦، ١٤٧.

٦٨- عبد السلام الطود، المرجع السابق، ص ١٣٢.

٦٩- المراكشي، المعجب، ص ٨٣.

٧٠- المراكشي، المعجب، ص ٨٣، ٨٤؛ عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، ص ١٣٢: ١٣٤؛ أحمد محمد عبد الهادي، العرب في الأندلس، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة،٢٠٠١م، ط١، ص ٥٧؛ علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص ١٥٠:١٤٨.

٧١- ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج ١، ص ٢٥.

٧٢- عنان، دول الطوائف، ص ٦٥؛ رجب محمد عبد الحليم،العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٣٨٧؛ عبد السلام الطود، بنوعباد بإشبيلية، ص ١٣٠.

٧٣- ابن الخطيب،أعمال الأعلام، ص ١٦٠، ١٦٢؛ سعدون نصرالله، تاريخ العرب السياسي، ص ٢٠٥.

٧٤- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٦١؛ عنان، دول الطوائف، ص ٦٩؛ رجب محمد عبد الحليم، المرجع نفسه؛ سعدون نصرالله، تاريخ العرب السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨، ط١، ص ٢٠٥.

٧٥- إبراهيم محمد حسن الجمل، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٠٠؛ سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١م،ج٢، ص ٤٨؛ علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م،ط١، ص ٧٧؛ عنان، دول الطوائف، ص ٧٣؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ط٢،ص ٥٦.

٧٦- حول زائدة كنة المعتمد وحظية ألفونسوالسادس انظر Jose Maria , Jimenna Munoz Amiga de Alfonso, VI , ١٩٩١ , p.١١-١٤

٧٧- بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، ١٩٨٧ ص ١٤؛ عنان، دول الطوائف، ص ٣٤٦، ٣٤٧؛ ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبدالبديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٢م، ص١٤٩، ١٥٠؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٥٦، هامش "١".

٧٨- علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين، ص ٧٧؛ أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٣.

٧٩- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٥؛ علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص ٧٠

٨٠- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٥؛ علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص ٧٠.

٨١- عنان، دول الطوائف، ص ٧٢؛ سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ج٢، ص ٤٦، ٤٧؛ ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص ١٦٨، ١٦٩.

٨٢- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص ١٧٠.

٨٣- سعدون نصر الله،تاريخ العرب السياسي، ص ٦٣، ٦٤.

٨٤- مجهول،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكاز وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ط١، ص ٣٨؛ علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص ٩٣.

٨٥- مجهول،الحلل الموشية، ص ٤١، ٤٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٤٤؛ رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق حسن حبشي، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م،ج٣، ص ١٢٦.

٨٦- رينهرت دوزي، المرجع نفسه؛ سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، رؤية من خلال أشعار الأندلسية وأمثالهم الشعبية، دار عين، القاهرة، ١٩٨٨م، ط١، ص ٨٨:٩٩.

٨٧- مجهول، الحلل الموشية، ص ٤٢؛ بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، ص ٢٣؛ سهيل زكاز، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية – المغرب والأندلس والبحر المتوسط، د.ن، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص ١٦٦.

٨٨- مجهول، الحلل الموشية، ص ٤٢، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، مج٢، ص ١١٠.

٨٩- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، مج٢، ص ١١٠؛ مجهول، مجهول، الحلل الموشية، ص ٤٢؛ رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ص ١٢٦؛ علي أدهم، المعتمد بن عباد، ص ٢٠٤؛ إبراهيم محمد حسن الجمل، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ص ١٠٤.

٩٠- المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٧، ٣٥٨؛ الفيكونت دوشاتوبريان، رواية آخر بنى سراج، ترجمة شكيب أرسلان، مطبعة المينار، مصر، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ط٢، ٨٧؛حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٥٢؛ علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص ٨٤.

٩١- أبوالعباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج ٢، ص

٣٥؛ علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي، ص ٢٧٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٨٤.

٩٢- ابن الآبار، الحلة السيراء، ص ١٧٠.

٩٣- عنان، دول الطوائف، ص ٧٣.

٩٤- هوالقائد القشتالي النصراني ألبار فانييث ابن أخى السيد القنبيطور، وكان من أكابر قادة ألفونسوورجال دولته. ابن أبي زرع، روض القرطاس، حاشية (١)، ص ١٤٥؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس،ص ٧١، هامش "٢"؛ فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس، ص ١٨٥.

٩٥- مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٨، ٣٩.

٩٦- مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٩، ٤٠، ٤١؛ محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية فى الأندلس وشمالي افريقية "٦٤-٨٩٧هـ/٦٨٣-١٤٩٢م" دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

٩٧- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٨٥؛ محمد ماهرحمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، ص٢٥٢؛ إبراهيم الجمل، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ص ١١٠.

٩٨- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٩؛ محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، المرجع السابق، ص ٢٥١، ٢٥٢.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

ابن الآبار(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)

١- أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٠٦٣م، ط٢، ج٢.

٢- ابن أبي زرع (ت٧٢٦هـ/١٣١٥م) على بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

٣- ابن بسام: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٣هـ/١١٤٧م)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م ، ق١، مج ١، مج٢.

٤- ابن بلقين، مذكرات الأمير عبدالله بن زيري المعروفة باسم التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.

٥- الحسن بن عبدالله العياسي، آثار الاول في ترتيب الدول، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ط١.

٦- الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ط٢، ج١.

٧- الحميري: أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري(ت٧٢٧هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان.

٨- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي)، تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مج٧

٩- ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت، مج ٥، ٧.

١٠- ابن الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب (ت٦٨٣هـ/١٣٧٤م)، أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م، ط٢.

١١- ابن دحية (أبي الخطاب عمر بن حسن) ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرون، راجعه طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧ م.

١٢- الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م، ط١١، ج١٨.

١٣- ابن عذارى المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ط٣، ج ٣، ٤.

١٤- ابن عياض (أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ط١، ج٢.

١٥- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ م.

١٦- القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ١٩٢٢م، مج١.

١٧- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تعليق احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

١٨- مؤلف مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكاز وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ط١.

١٩- عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

٢٠- المقدسي (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩م، ط٢.

٢١- المقري(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ج ١، ٤.

ثانياً: المراجع العربية والأجنبية

١- إبراهيم أحمد العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة، ١٩٥٧م.

٢- إبراهيم محمد حسن الجمل، أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣- أحمد محمد عبد الهادي، العرب في الأندلس، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة،٢٠٠١م، ط١

٤- أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨.

٥- أبوأدهم عبادة بن عبد الرحمن كحيلة، أندلسيات، د.ن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ط٢.

٦- الفيكونت دوشاتوبريان، رواية آخر بنى سراج، ترجمة شكيب أرسلان، مطبعة المينار، مصر، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ط٢.

٧- بطرس البستاني

- معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، ١٩٨٧.
- أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، دار نظير عبود، القاهرة، د.ت.

٨- حسن فتح الباب، مقومات السفراء في الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٩- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.

١٠- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ط١.

١١- خليل حسين، المراسم والتشريفات الدبلوماسية وقواعد اللياقة والمجاملة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط١

١٢- رجب محمد عبدالحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصرى، القاهرة، د.ت.

١٣- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق حسن حبشي، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ج٣.

١٤- زامبارو، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م.

١٥- سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، رؤية من خلال أشعارهم الأندلسية وأمثالهم الشعبية، دار عين، القاهرة، ١٩٨٨م، ط١.

١٦- سحر السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١م، ج٢.

١٧- سعدون عباس نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨، ط١.

١٨- سهيل زكاز، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية – المغرب والأندلس والبحر المتوسط، د.ن، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢.

١٩- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات- الأندلس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٠- صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢١- صلاح محمد عبدالحميد، فن التفاوض والدبلوماسية، مؤسسة طيبة، القاهرة، ٢٠١١م، ط١.

٢٢- عبدالسلام أحمد الطود، بنوعباد بإشبيلية، مطبعة كريمادس، تطوان، المغرب، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٢٣- عبدالمتعال محمد الجبري، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٤- علي أدهم، المعتمد بن عباد، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت.

٢٥- علي محمد محمد الصلابي:

- فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ط١.
- الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م،ط١.

٢٦- علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ط١.

٢٧- فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٨- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ط١.

٢٩- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبدالبديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٢م.

٣٠- محمد عبدالله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، العصر الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م،ط٤.

٣١- محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسة والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية " ٦٤-٨٩٧هـ/٦٨٣-١٤٩٢م " دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣٢- مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣/ ١٠١٢-١٠٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ط١.

٣٣- هشام محمود الأقداحي، علم التفاوض الدولي والاتصال الدبلوماسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٠م.

٣٤- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ط٢.

٣٥- Jose Maria , Jimenna Munoz Amiga de Alfonso, VI , ١٩٩١ , p.١١-١٤

ثالثاً: الرسائل والدوريات

١- جلال زناتي جلال زناتي، مملكة قشتالة وليون في عهد ألفونسوالسادس (١٠٦٥-١١٠٩م/٤٥٧-٥٠٢هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

٢- سعد عبدالله البشرى، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف(٤٢٢هـ/٤٨٨م – ١٠٣٠م /١٠٩٥م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، رسالة منشورة.

٣- فرحات الدشراوي، مملكة إشبيلية في القرن ٥هـ/ ١١م، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية، تونس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، العدد ٧.

٤- يوسف أحمد حوالة، بنوعباد فى إشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، غير منشورة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م